

# رسالة في القولنج

## وتعديد أصنافه وأسبابه وعلاماته

### لابن سينا

#### الجزء الأول

دراسة وتحقيق :

الدكتور داود مزبان الثامري

كلية الطب — جامعة البصرة

#### التعريف بابن سينا

شهدت خراسانُ في القرن الرابع للهجرة حركةً فلسفيةً قويةً تحت حكم الدولة السامانية ونبع فيها النشاطُ العلمي بدرجة كبيرة كان لها الأثرُ الفعّالُ في ازدهار الثقافة والعلوم العقلية في تلك العصور ، وقد توجت هذه الحركة بظهور الفيلسوف الكبير ابن سينا الذي يُعد بحق درة الدولة السامانية ومفخرة الأمة العربية الإسلامية .

هو حجة الحق وشرف الملك الشيخ الرئيس الحكيم الوزير الدستور أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا<sup>(١)</sup> .

لقد اشتهر في كتب الفلاسفة المتأخرين من هذه الألقاب والكنى والأسماء<sup>(٢)</sup> ، ما

---

(١) ابن أبي أصيبعة — عيون الأنباء ص ٤٣٧ ، ابن خلكان — وفیات الأعيان ٤١٩/١ ، وانظر :

الأهماني — ابن سينا ص ١٩ .

(٢) الأهماني — ابن سينا ص ١٩ .

يؤحي بمهامه العلمية والسياسية ، ومن المؤسف حقاً أننا لا نجد في نسبه أكثر من هذه الأسماء ، وقد علق ابن أبي أصيبعة على شهرته فقال : « وهو وإن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر » (٣) .

وابن سينا من فلاسفة العرب القلائل الذين دونوا سيرة حياتهم وكتبوا أخبارهم ويعود الفضل إلى أحد تلامذته المعروف بأبي عبيد الجوزجاني الذي سطر حياة ابن سينا وجاءت في مصادرنا التاريخية (١) . وقد أخذ ابن أبي أصيبعة رواية الجوزجاني هذه فقال الشيخ عن نفسه : « كان والدي رجلاً من أهل بلخ وانتقل منها إلى بخارى في أيام الأمير نوح بن منصور (٢) الساماني فولاه الأمير نوح إدارة قرية من ضواحي بخارى تسمى خرميشن » . وهذا دليل على أن عبدالله والد ابن سينا كان على شيء من راحة العيش . ثم تزوج عبدالله امرأة اسمها ( ستاره ) من قرية أفشنة فرزقا الحسين عام ٣٧٠ هـ فأصبح في الأسرة غلامان . علي وهو الأكبر والحسين وهو الثاني ، وبعد خمس سنين رزقت الأسرة غلاماً ثالثاً وهو محمود .

انتقلت الأسرة إلى بخارى فاستقرت بها ، وأحضر لابن سينا معلم القرآن والأدب ، فلم يكد يكمل العشر من العمر حتى حفظ جميع القرآن وكثيراً من الأدب وحتى « كان يقضي منه العجب » . وصحبت هذه الذاكرة القوية العجيبة ابن سينا طوال حياته ، فهو يروي أنه حفظ كتاب الطبيعة لأرسطو عن ظهر قلب دون أن يفهمه ، حتى اشترى كتاب الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة فانفتح على : « في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه قد صار لي محفوظاً على ظهر قلب » (١) .

---

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٩/٤٣٧ .

(١) لقد دونت الكثير من المصادر حياة ابن سينا ولست بصدد سردها إلا بقدر تعلق الأمر بطبيعة هذا البحث . انظر على سبيل المثال ابن النديم — الفهرست ص ١٣٨ ، ابن أبي أصيبعة — عيون الأنباء ص ٤٣٧ وما بعدها ، ابن خلكان — وفيات الأعيان ١/٤١٩ .

(٢) هو أحد أمراء البيت الساماني الذي ترعرع في كنفه ابن سينا ونبغ في علمه : ابن خلكان — وفيات الأعيان ١/٤٢٠ .

(١) ن . م . وانظر : القزويني — الآثار ص ٣٠٠ ، الأهواني — ابن سينا ص ٢٠ ، أحمد أمين : ظهر الإسلام ١/٢٦٧ ، هيلر — الدويلات الإسلامية ص ٢٠٥ .

وقد برزت شهرته العلمية ونبوغه العقلي عندما تولاه الأمير نوح بن منصور الساماني بالرعاية والاهتمام . ويذكر أن الأمير نوحاً قد ذكر عنده في مرضه الأخير فأحضره وعالجه حتى برئ ، واتصل به وقربه منه وفتح له دار كتبه ، وكانت هذه المكتبة من خيرة مكتبات ما وراء النهر والمشرق الإسلامي ، وقد وصفها ابن خلكان بقوله : « وكانت عديمة المثل فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته »<sup>(١)</sup> . فكانت فرصة ابن سينا أن يتزود من هذه المكتبة لكثرة علومها ، ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم التي عاناها بأسرها<sup>(٢)</sup> .

وهكذا كان لاهتمام السامانيين بابن سينا ورعايتهم له أثر في تفوقه العلمي وشهرته العلمية وذبوع صيته . ويستمر ابن سينا في الحديث عن نفسه . فبعد أن أتم حفظ القرآن والأدب العربي أرسله أبوه إلى بقال يسمى « محمود المساح » ليتعلم منه حساب الهند ومبادئ الهندسة كما تعلم الفقه على يد إسماعيل الزاهد . وصادف أن وفد إلى بخارى الفيلسوف أبو عبد الله النائي وكان تلميذاً لأبي فرج بن الطيب ، من علماء القرن الرابع الهجري ، فأنزله والده في داره حتى يتعلم منه ابن سينا الفلسفة ، وبدأ يقرأ عليه كتاب إيساغوجي لفرفوريوس الصوري<sup>(١)</sup> وبرز التلميذ على يد أستاذه حتى كان يتصور مسائل المنطق أفضل منه ، وعندئذ أخذ ابن سينا يقرأ الكتب ويطالع الشروح بنفسه حتى أحكم علم المنطق والهندسة والطب . ومن فرط ذكائه أنه برز في الطب وهو في السادسة عشرة دون معلم وأخذ يتعهد المرضى ، ولا غربة في ذلك من شفائه للأمير نوح بن منصور الساماني في هذا العمر المبكر ، وبذلك نجح نجاحاً باهراً واشتهر أمره<sup>(٢)</sup> .

إن هذه السيرة قد قرأها على تلميذه عبدالواحد الجوزجاني عند اتصاله به وكان ابن سينا في الثانية والثلاثين من عمره ، وأكمل الجوزجاني الحديث عن سيرة أستاذه

(١) ابن خلكان — وفیات الأعيان ٤٢٠/١ .

(٢) ن . م

(١) إيساغوجي لفظة يونانية معناها المقدمة أو المدخل ، وعن حياة فرفوريوس الصوري وأثره في العرب ، انظر الأهواني مطبعة عيسى الحلبي ١٩٠٢ بهذا المعنى .

(٢) ابن أبي أصيبعة — عيون الأنباء ٤٣٧ وما بعدها ، الأهواني — ابن سينا ص ٢٢ .

بعد ذلك ، ودون أخباره بما يعادل ربع قرن ، حيث نضج فيها ابن سينا وتطور واكتسب الكثير من التجارب وألف كثيراً من الكتب الجليلة الشأن .

لقد وصفه ابن خلكان بقوله : « كان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه » وصنف كتاب الشفاء في الحكمة والنجاة والإشارات والقانون وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مُطوّل ومختصر<sup>(١)</sup> . ولا غرابة في أن يتخذ كتابه القانون مرجعاً لطلبة الطب في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر . وأخذ القديس توما الإكويني الفلسفة السينية لابن سينا فكانت بذلك الفلسفة الغربية التي تمتد جذورها إلى ثمرة جهود ابن سينا ، وهذا ما يفسر لنا كيف استمد الغرب ثقافته من العرب .

ويسجل الجوزجاني تاريخ ولادته سنة ٣٧٠ هـ في شهر صفر من تلك السنة ، أما وفاته فكانت بمدينة همذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٤٢٨ هـ ودفن بها<sup>(٢)</sup> .

ذكر ابن أبي أصيبعة كتاب « القولنج » هذا ، وأشار إلى أن تأليفه قد وقع أيام سجنه في قلعة فردجان من أعمال همذان — لم يكن تاماً على حد تعبيره .

ويبدو أن ظروف السجن ومعاناة العيش آنذاك حالت دون استكمالهِ . ولعل ابن سينا قد أكمل الكتاب بعد ذلك أو أيام كونه في السجن . ولكن يد الإهمال حالت دون وصوله إلينا كاملاً .

ومهما يكن فإن النسخ التي بين أيدينا تعبر بوضوح عن قيمة ابن سينا العلمية وأهميته في الطب في حالتي التشخيص والعلاج ، وهو ما بين الداء والدواء يبرز كطبيب عصره وقدرته في العلوم الطبية .

---

(١) ابن خلكان — وفیات الأعيان ٤٢٢/١ .

(٢) ن . م . ، وقد ذكر مؤلفاته كل من ابن النديم في الفهرست ص ١٣٨ ، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٥٧ .

## المقدمة

إن أهمية دراسة التراث العلمي الطبي العربي الإسلامي تنبع من جوانب عدة :  
فدراسة التراث الطبي تمكننا من تبيان الحقائق الطبية التي نقلها أجدادنا في عصر الترجمة من الأمم الأخرى مثل اليونان والإغريق والفرس والهنود التي أضافوها إلى جهودهم الشخصية ومكتشفاتهم التي توصلوا إليها عن طريق الملاحظة والمتابعة والتحري وقوة التفسير والتعليل المنطقي الذي يقبله العقل مخالفين بالرأي غيرهم إن لم يكن حقيقة مقبولة . فاختلّفوا مع جالينوس في كثير من الأمور الطبية ولم يقبلوا كل شيء على علته كما يدعي البعض . إن ذلك سوف يعرف أبناء العروبة والعالم بجهود أجدادهم ويزيدهم فخراً بذلك الماضي التليد وتصميماً للعمل في الوقت الحاضر لبناء المستقبل واحتلال المركز المناسب بين الأمم لأمة ذكرت في القرآن المجيد : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ كما أن ذلك سوف يرد به على المغرضين والحاquدين الذين يحاولون طمس الحقيقة وحجب نورها وإعطاء العرب والمسلمين دور الناقل والمترجم، والبعض منهم يعطيهم فضل أمين المكتبة أو حتى يحاول البعض الإساءة إلى العرب ويدعي أن الأطباء أكثرهم من الأعاجم متناسياً الانفتاح والإسناد والتشجيع الذي قام به العرب لكل من خدم العلم دون تمييز وتعصب إلى دين أو عرق، وهو ما لم يتوصل إليه الغرب حتى الآن ، وما يمارسونه من عنصرية واضطهاد غير خاف على البشرية جمعاء .

إن طبيعة الأمراض لم تختلف عما كانت عليه في الأزمان الماضية عنها في الوقت الحاضر ، ولكن الذي اختلف هو ظهور البحث العلمي الذي توصل إلى معرفة مسببات تلك الأمراض . وكثيراً من الوصف الطبي الذي قام به أطباؤنا الأوائل لا يختلف كثيراً عما نعرفه اليوم ، وقد برز العرب في علم الصيدلة والتداوي وهم أول من ألّف الكتب في ذلك . ومن دراسة التراث العلمي لهم نستطيع الكشف عن العلاج الذي اتبعوه ، ونحاول دراسته علمياً ونخضعه للتجربة العلمية لتبيان مدى فعاليته . وقد قامت جهود مشكورة ولكنها محدودة لدراسة بعض النباتات الدوائية التي استعملها العرب في مداواة بعض الأمراض وأثبتت نتائجها كما فعل الدكتور محمود

رجائي وجماعته في دراستهم السريرية على استعمال المسواك (١) حيث أثبتوا احتواء المسواك على المواد الطبيعية النافعة .

إن الأدوية التي استعملها أطباء العرب والمسلمين كثيرة ومتعددة وقد يكون الرجوع إليها مخرجاً من القيود والتحديدات التي وصل إليها العلم في الزمن الحالي وقد يجد عالم اليوم جواباً علاجياً لبعض الأمراض المستعصية خاصة إذا علمنا أن كثيراً من أدوية هذا العصر سبق أن استعملت ولكنها طورت واستخلصت بصورة جيدة وعلى نطاق تجاري واسع أو قد صنعت بعد معرفة مكوناتها الأساسية ، وكتب الصيدلة تزرخ بالمثلثات منها .

إن تحقيق التراث سوف يرفد المكتبة العربية بالمصطلحات والأسماء الطبية التي عرفها أجدادنا وسُموا بها الكثير من أعضاء الجسم والأدوية والأمراض ويساعد في عملية التعريب ويثبت أن لغة العرب غير قاصرة عن خدمة العلم وليست محدودة بحيث لا تسمح لتعريب الطب أن يجري وأن يواكب الحركة العلمية في كافة المجالات ، والتعريب يحقق الاستقلال القومي اللغوي ويحررنا من عقدة تصور قصور لغتنا في المجالات العلمية التي يعتقد كثير من مثقفينا به مع الأسف الشديد .

والتحقيق كذلك يساعدنا على معرفة أماكن مخطوطاتنا التي تنتشر في أنحاء المعمورة كافة ، وطُمر كثير منها في رفوف المكتبات ، وهي تراث علمي نفتخر به ، ويجب أن نظهره للعالم أجمع ، وقد قامت كثير من الدول العربية والجامعة العربية بإنشاء مراكز تُعنى بالتراث وتحقيقه وعدم الاكتفاء بالمبادرات الشخصية المشكورة حيث إن العملية مجتهدة ومتعبة وهي بحاجة إلى جهود جمّة متجمعة وليست متفرقة .

---

(١) د . محمد رجائي المصطبي وجماعته ، استعمال المسواك لنظافة الفم وصحته ، كتاب الطب الإسلامي . الأبحاث المقدمة للمؤتمر العالمي الأول - الكويت ، ربيع الأول ١٤٠١ هـ .

## موارد ابن سينا التي تأثر بها في الطب كما وردت في المخطوطة — ج —

- ١ — جالينوس .
- ٢ — الإسرائيلي : — كتاب مبحث أمراض الرحم .  
— كتاب الحميات .
- ٣ — ابن زهر — صاحب التيسير .
- ٤ — محيي الطب — أبي قراط .

اعتمدنا مخطوطة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٣١٦٧ جامعة الدول العربية للتحقيق ورمزنا إليها بالحرف — آ — وهي عبارة عن مايكرو فلم برقم من ٥٣٢ — المكتبة الآصفية بحيدر آباد ، ورقم المخطوط فيها ٤١ ( ١٩ ) مجاميع من صفحة ٤٨٤ — ٥٦٤ ، اسم الكتاب « رسالة في القولنج » واسم المؤلف ابن سينا . تاريخ النسخ القرن الثاني عشر بخط تعليق حسن ، عدد الأوراق ( ٣٧ ) بالقلم « الصفحة ١٧ سطرًا ، المقاس ٩٠ × ١٦٠ ملمترًا .

بالنسخة آثار أرضة وترقيع بسيط . وقد تم مقارنتها بمخطوطة جامعة الدول العربية — معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٣٠٦١ وقد رمز لها برقم — ب — وهي من مكتبة رضا رامبور ، ورقم الفيلم من ٢٦٧/٢٢٩ ، ورقم المخطوط فيها ٤٠٣

- 
- (\*) جالينوس — ولد سنة ١٣٠ م في مدينة بيرغاموم شمالي أزمير في تركيا وتوفي سنة ٢٠٠ م عن عمر يبلغ السبعين ، له مصنفات كثيرة في الطب ولم يسبقه أحد إلى علم التشريح وألف في تشريح الأحياء كتاباً وشرح كتب أبقراط كلها .
  - (\*) موسى بن العازار الإسرائيلي — مشهور بالتقدم والخدمة في صناعة الطب ، وكان في خدمة المعز لدين الله . توفي سنة ٣٦٢ هجرية . ولموسى بن العازار من الكتب : المعزي في الطبخ ، ألفه للمعز ، ومقالة في السعال ، وكتاب الأقرباذين .
  - (\*) ابن زهر — أبو مروان عبد الملك بن زهر ولد في إشبيلية سنة ١٠٩١ أو ١٠٩٤ ميلادية وتوفي في إشبيلية عام ١١٦٢ ميلادية بعد إتمام كتابه — التيسير — التي ترجم للعربية واللاتينية وطبع باللاتينية عدة مرات بين عام ١٤٩٠ و ١٥٥٤ ميلادية .
  - (\*) محيي الطب — أبي قراط . يعدّه البعض أبا الطب ، عاش ٩٥ سنة ، وهو يشتهر بطبه وقسّيه وألف العديد من الكتب في الطب .

( ٥ ) ، وسط اسم الكتاب ( رسالة في القولنج وتعدد أصنافه وأسبابه وعلاماته ) اسم المؤلف ابن سينا ، وتاريخ النسخ القرن الحادي عشر ، وهي بخط تعليق حسن ، عدد الأوراق فيها ٧٤ صفحة ، والأسطر ١٥ بمقاس ١٣٠ × ٢٢٢ ملمتراً .

أولها : وبعد فقد خاطبني مبتدياً بالأمير الجليل نصره الدولة عن الملك كفاه الله من جميع متصرفاته .

كما تم مقارنتها بمخطوطة معهد ولكم للتاريخ الطبي في لندن برقم : Wmsor 68 وقد رمز لها بالرقم — ج — ، وهي ٢٢ ورقة ( ٢١٢ × ١٤٥ ) ، ملم ١٨ سطرًا طلق معادة الكتابة ( رسالة في القولنج — القولنج ) .  
وأولها : وبعد فقد خاطبني سيدنا الأمير الجليل نصره الدولة عن الملك كفاه الله جميع متصرفاته الإنجاح والظفر (١)

اعتاد الباحثون عند تحقيقهم لأي مخطوط مقارنته بأكثر من نسخة واحدة يشيرون إليها بالأرقام ( أ ، ب ، ج ) ثم يشتون بعد ذلك في الهوامش الاختلافات وهذا مطلوب علمياً ولكنه مرهق ورأيت أن أكتب وأذكر ما ذكر في اثنين من المخطوطات لأسهل للقارئ الصورة ولا أشغله كثيراً بأن الكلمة وردت في ( أ ) كذا وفي ( ب ) وفي ( ج ) كذا ، وأظن أن ذلك هو سبب عزوف كثير من الأساتذة عن التحقيق والأفضل أن يظهر كتاب ابن سينا ويصرف الوقت عليه لتبيان الحقائق الطبية من ضياع الوقت باعتماد الطريقة المتبعة سابقاً علماً بأن ذلك قد لا يقبل من كثير من الأساتذة الأفاضل الذين يتبعون الطريقة الأولى . لقد حصرت الكلمة بين قوسين عند ورودها في مخطوط واحد فقط وكتابة المتفق عليه في المتن .

لقد وردت كلمات كثيرة في المخطوطة ( ج ) غير منقطة فهمت من سياق العبارات والمعاني للكلمات والمقارنة بالمخطوطتين ( أ و ب ) . استعمل ابن سينا الفيشات في هوامش صفحاته لتوضيح بعض الكلمات والنقل للصفحة الثانية لم يكن عدد الأسطر متساوياً في كل الصفحات وقد جاءت بعضها كتابات كبيرة

---

(١) هنالك نسختان ، نسخة مشهد ، ونسخة وهي ، اللتين نوه بهما الأب جورج شحاتة فتواتي ، في كتابه « مؤلفات ابن سينا » : القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٢١٤ . تسلسل ١٤٣ .



وواضحة وبعضها صغيرة ملمومة ، وذكر أسماء الفصول في الصفحة نفسها دون أن يضع لها عنواناً .

وفي ختام الحديث أشكر الدكتور قحطان الحديشي على ما قام به من جهد لتصحيح الكتاب من الوجهة التاريخية ، ولا يفوتني أن أشكر الأخت سعدية علي السالم لقيامها بطبع الكتاب عدة مرات وتحملها ذلك الجهد سعياً وراء وضع الكتاب بين يدي القارئ الكريم . وأود أن أشكر معهد ويلكم للتاريخ لسماحه لي بالحصول على نسخة من المخطوط وكذلك الدكتور محمد عبد المقصود لمساعدتي في الحصول على ثلاث نسخ مختلفة من المخطوط من معهد المخطوطات في الجامعة العربية — القاهرة .

إني أسأل الله أن يوفقنا جميعاً ويسدد خطانا في وضع ماضي أمتنا التليد بين أيدي أبناء الأمة والأجيال الصاعدة المنطلقة لغد أفضل ومستقبل زاهر وهو محيى الدعاء .

الدكتور داود مزبان الثامري

## الدراسة والتعليق

من خلال دراستنا للحقائق الطبية في رسالة الشيخ الرئيس ابن سينا في القولنج ومدى مطابقتها واختلافها لعلم الطب الحديث يتضح لنا عمق التراث العلمي الذي دونه أسلافنا في مجالات المعرفة العلمية وتأثيرها في ما هو وارد لدينا في الطب الحديث فقد ذكر :

١ — وجود الهدف الواضح في مقدمة الرسالة حيث بين أسباب كتابة الرسالة بقوله : « أن أجمع بحزائنه — عمره الله — كتاباً يشتمل على ما ينبغي من حال القولنج أقسامه وأسبابه وأعراضه ودلائله ووجوه معالجاته ونهج السبيل إلى التحرز منه غير قاصر عن واجب البيان ولا خارج إلى حد الحشو والتطويل ( ١ / أ ) .

٢ — إن هذه المقدمة تبين أن الرسالة هي أول كتاب تخصصي في أمراض الجهاز الهضمي وبجزء واحد منه وهو أمراض القولون — القولنج .

٣ — كما أنها تبين التتابع العلمي والتسلسل المتبع حديثاً في كتابة الأمراض في الكتب فقوله : « أقسامه » Classification « وأسبابه » Aetiology « أعراضه ودلائله Symptoms » أو ما يعرف بالعرض الطبي للمرض « Clinical presentation » ووجوه معالجاته « treatment » وينتهي « نهج السبيل إلى التحرز منه » وهو ما يعرف حديثاً بالوقاية « Prevention » ثم يضيف : إنها يجب أن لا تكون مقصورة في مضمونها وليست خارجة عنه بالحشو والتطويل .

٤ — اتبع نفس الفهرسة والتبويب الحديث وأشار إلى ذلك في المقدمة فهو يقول : « المقالة الأولى في تشرح الأمعاء ومنافعها ، والمقالة الثانية في تعريف ماهية القولنج في أقسامه وأسبابه وعلاواته ، والمقالة الثالثة في تدبير أصحاب القولنج وعلاجهم وحفظهم ( ١ / أ ) .

ومن ثم يستمر في توضيح كل فصل من فصول المقالة معدداً كل ما تشتمل عليه ليسهل للقارئ أن يعرف عندما يطلب شيئاً خاصاً يجد مقابله بما هو موجود في الكتب الحديثة التي تسهل للقارئ ذلك . فمثلاً تأخذ فصول المقالة الأولى فهي

تسعة فصول : الفصل الأول في ذكر التجاويف الكبار التي في بدن الإنسان ،  
الفصل الثاني في ذكر منافع الأعضاء « (١/ب) .

ويستمر على هذا المنوال حتى ينهي جميع فصول المقالات . قائلاً : « فهذا  
فهرست مقالاتها وفصولها » (٢/أ) .

٥ — إن الشيخ الرئيس يحاول أن يشرح فسلجة الجسم والمراكز المسؤولة عن  
وظائف الأعضاء فهو يقول : « اعلم أن الأفعال الضرورية من قوام الحيوان فعل  
تغذية البدن ويصدر عن القوة الطبيعية، وفعل تغذية الروح وتعديلها ويصدر عن القوة  
الحيوانية، وفعل الحركة ويصدر عن القوة النفسانية » (٢/أ) .  
إن هذا التفصيل يشبه ما نعرفه اليوم من الفسلجة فالتغذية يفصلها عن التنفس  
وهما منفصلان عن الحس والحركة .

٦ — كما إنه شرح موضع كل من الأعضاء في الجسم مشيراً إلى سيطرة كل  
عضو على العضو الآخر قائلاً : « وقد أعد الخالق لكل واحد من تلك الأعضاء  
التي تخص فعلاً منها تجويفاً وخزانة تحويه ، فأعضاء التغذية للبدن هي المعدة والكبد  
ويدخل معها الكبد الطحالي والمرارة والكليتان والأمعاء والتجويف الذي يحويها هو  
الفضاء الذي يطن ويحيط به المراق والصلب من الأسفل ومن الخلف والحجاب  
الحاجز المسمى ذيفر عما من فوق » (٢/أ) .

٧ — إن أعضاء التغذية لدى الشيخ الرئيس لا تختلف عما نعرفه اليوم ما عدا  
الكبد الطحالي الذي لا يدخل في التغذية ، أما الكليتان فهما تشتركان بالهضم  
ويطرح الفضلات الممتصة والزائدة بعد عملية التمثيل ، كما أن ربط الكبد بالعملية  
الغذائية مفخرة في وقت لا يعرف فيه اختصاص الكيمياء الحيوية .

٨ — إن الحجاب التشريحي في وصف مكان الأعضاء يدل على أن التشریح  
معروف لدى الشيخ الرئيس وليست أقواله مجرد حدس وتخمين ، فقله : « أعضاء  
تربية الروح وتغذية القلب والرئتين وقصبتهما والتجويف الذي يحويها هو الفضاء الذي  
تحده ، أما من قدام فالقفص وأضلاع الصدر ومن خلف الظهر الأعلى ومن فوق  
الترقوة والعنق ومن تحت الحجاب الحاجز » (٢/ب) . وهو ما نعرفه اليوم تشریحياً  
ووظيفياً .

٩ — ويستمر على هذا المتوال في الوصف التشريحي للدماغ والنخاع مبيناً أنهما أساس الحياة وكل ما عدا ذلك تابع لها بقوله : « هذه الأعضاء التي تحيط بها هذه التجاويف هي الأعضاء الضرورية في قوام الحياة وسائر الأعضاء أطراف لها وهي غير ضرورية » (٢/ب) وهو ما توصل إليه العلم الحديث الذي يعلن الوفاة بتوقف الدماغ لا القلب .

١٠ — يعترف ابن سينا بأن رطوبة الماء هي قوام الحياة فهو يقول : « وجعل قوام جوهره من الرطوبة » (٣/أ) هو أساس الفلسفة في العصر الحديث حيث تعتبر الماء العنصر الأساسي في التكوين الحيواني كما أن العمليات الحياتية : (METABOLISM) معروفة له فهو يصفها بقوله : « وكان الحار الذي فيه والحار المحيط به يحلل جوهره » (٣/أ) وهي العمليات الحياتية الوظيفية المعروفة لدينا بالتأيض والتمثيل .

١١ — إن الإنسان يتغذى ويعيش على ما يتحلل من جوهر مشابه لجوهره وهو يحلل في بدنه هذا الجوهر المعوض بما يحضره من الأغذية . وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « وجب أن يدبر بالحكمة لبدنه تدبيراً يحصل له بدل ما يتحلل عنه فهيأ له مما يحضره أجساماً من شأنها أن يستحيل إلى مشاكلة جوهره فيسد مسد التحلل منه وهذا هو الغذاء وأعد له أعضاء فيها ينضج هذا الشيء الذي هو الغذاء » (٣/أ) .

١٢ — إن الغذاء الذي يتناوله الكائن الحي لا يستحيل بكامله لجوهر الكائن بل يبقى منه فضلات غذائية ، وهذا أيضاً معروف لدى ابن سينا فهو يعرف أن بعض الغذاء يبقى ويجب لفظه خارج الجسم فهو يقول : « ويبقى منه فضل مؤذياً باحتباسه خلق له آلات دفع الفضول » (٣/أ) . كما يعترف أن الفضلات إن بقيت في الجسم فهي تؤذيه وهو ما معروف طبياً الآن بأعراض الإمساك والذي يجهد الطبيب نفسه بمعالجتها .

١٣ — إن الوصف الوظيفي للعضو في الجسم مهم من الناحية الفيزيولوجية وبخاصة إذا جمع معه الوصف التشريحي للعضو وهذا ما يتبعه الشيخ الرئيس فهو يبين أسباب خلق الأمعاء بصورتها الحالية وماذا يحدث لو أن الخالق سبحانه وتعالى جعلها

بصورة غير صورتها الحالية ، فهو يقول في خلق الأمعاء : « صلبة بالقياس إلى سائر الأمعاء لينة بالقياس إلى الباسط الماد ، ولو خلقها عظمية لما أطاعت الانبساط عند الامتلاء والانتفاخ من الرياح ولكانت ثقيلة مؤذية عند الحركة ولو خلقها لحمية لكانت تعرض للانحراق عند تمديد الأثقال والرياح » (٣/ب) .

١٤ — كما إن الجانب الوظيفي في الأمعاء هو سبب خلقها بطبقتين فهو يقول : « وخلقها من طبقتين لتكون أمتن وأثخن وأصبر على ما يزاحمها من الأثقال المنعقدة واليابسة وبلدعها من الأخلاط الحادة » . (٣/ب) . وهو ما معروف لدينا من ناحية دراسة الأنسجة أن هنالك طبقتين في الأمعاء في الوقت الذي لم يعرف فيه الميكروسكوب في ذلك الوقت .

١٥ — أثبت العلم الحديث أن الغذاء يُهضم في الأمعاء ثم تمتصه الأمعاء ليحال بواسطة الدورة الدموية إلى الكبد حيث يعمل عليه ليحيله إلى مواد أخرى صالحة للتأيض والتمثيل .

ولإكمال تلك العملية احتاجت الأمعاء لطول كبير ووقت يبقى الغذاء فيها ملامساً للشعيرات المعوية يكفي للامتصاص وكانت حكمة الخالق هي أن يفرق الإنسان من الحيوان فلم يجعله بهيمة تهتم بالأكل والتبرز ولم يخلقه حيواناً مجترأً . إن ذلك هو ما جاء بالنص في كلام الشيخ الرئيس في الصفحة ٤/أ من أولها إلى آخرها .

١٦ — إن حقيقة طول الأمعاء التي أكدها ابن سينا أثبت العلم أهميتها من الناحية العلاجية ، فالجراح اليوم يسرع بمعالجة التواء الأمعاء مخافة أن يضطر إلى قص وإزالة بعض منها نتيجة لموتها باحتباس الدم والدورة الدموية أثناء الالتواء ، والسبب معروف اليوم : حيث أن قصر الأمعاء سوف يؤدي إلى الإسهال وفقدان السوائل والوفاة ، كما أن العلم الحديث بين أهمية مكث الغذاء في تلافيف الأمعاء لغرض الامتصاص فالإسراع المعوي حالة مرضية تحتاج وتتطلب المعالجة . يبدو أن ذلك الوصف هو نتيجة للتحكيم المنطقي ، ولكن هذا يدل على تفهم وظيفي للعضو البشري نتيجة لدقة الملاحظة وضبط المشاهدة والربط الفكري والتتبع المرضي والعلاجي .

١٧ — إن تشريح الأمعاء لدى الشيخ الرئيس يبدأ بالاثني عشري ثم الصائم ثم الدقيق واللفائفي ثم الأعور فالقولون والمستقيم ، وهو السرم مشابه لما هو معروف عليه اليوم ، مما يدل على أن التشريح كان معروفاً وجارياً ، كما أنها جميعاً مربوطة بالظهر فهو يقول : « وهذه الأمعاء كلها مربوطة بالصلب ورباطات تشدها على واجب أوضاعها » (٤/ب) .

كما أنه يفرق بينها تشريحياً ووظيفياً فهو يقول : « وخلقت العليا منها رقيقة بجوهرها لأن حاجة ما فيها إلى الإنضاج ونفوذ قوة الكبد إليه أكثر من الحاجة في الأمعاء السفلى ولأن ما يتضمنه لطيف لا يخشى فسحه لجوهر الأمعاء نفوذه فيه ومراره به » (٤/ب) .

١٨ — إن الأمعاء السفلى لدى الشيخ الرئيس تبدأ من الأعور وهي تختلف تشريحاً من العليا فيقول : « والسفلى مبتدئة من الأعور غليظة ثخينة متشحمة الباطن فيكون مقاومته للثفل الذي إنما يصلب ويكثف أكثره هناك » (٤/ب) . ولكنه لا ينسى أن يذكر أن الأمعاء العليا لم ينس الخالق أهمية مقاومتها إذ يقول : « ولكن لم ينحل في الخلقة من تعرية سطحها الداخل برطوبة لزجة مخاطية تقوم له مقام التشحيم » (٤/ب) .

ولا أحد ينكر أهمية المادة المخاطية : «Mucus» من الناحية الدفاعية للأمعاء في عصرنا هذا .

١٩ — إن حقيقة تصلب وتكثف الثفل في الأمعاء الغلاظ معروفة للشيخ الرئيس وهي الجانب الوظيفي ، الذي نحدده اليوم للأمعاء الغليظة ولم نزد عليه سوى امتصاص بعض من كمية الماء الذي لم يتجاوزها الشيخ الرئيس أيضاً .

٢٠ — إن الشيخ الرئيس يتبع الأسلوب العلمي في التشريح الوظيفي متتبعا أجزاء الجهاز الهضمي ففي الصفحة ٤/ب و ٥/أ ، من المخطوط وبأسلوب لا يختلف عما يجري عليه اليوم ولكنه يضيف على الأمعاء وجود قوتين جاذبة ودافعة وهو مالا يقره العلم الحديث الذي اكتفى بقوة دافعة هي الحركة المسارية .

٢١ — إن العلم الحديث أثبت أن للصفرأ تأثيراً على الحركة السارية إضافة إلى وظيفتها في الهضم . وإشارة الشيخ الرئيس إلى ذلك تُعد مفخرة كبيرة وهو يقول : « وهي خالصة غير مشوبة فتكون قوية الغسل تهيج القوة الدافعة باللدغ فيما يغسل ويعين على الدفع إلى أسفل » (٥/أ) .

٢٢ — يعتقد الشيخ الرئيس خطأ « أن الديدان تفيد الإنسان عندما تتولد في أمعائه فهو يقول : « وفي تولدها أيضاً منافع إذا كانت قليلة العدد » (٦/أ) حيث نعرف أن الديدان مضرّة للجسم وتسبب الأمراض له .

٢٣ — إن الوصف التشريحي الدقيق للأمعاء الغلاظ ينم عن معرفة جيدة بالتشريح فالشيخ الرئيس يقول : « كما يبعد من الأعور يميل عنه ذات اليمين ميلاً جيداً ليقترب من الكبد ثم يأخذ ذات اليسار منحدرًا فإذا حاذى الجانب الأيسر مال إلى اليمين وإلى الخلف (٦/أ) ، وهو ما ندرسه اليوم لطلبة الطب في قسم التشريح ونلزم الجراح بمعرفته في الامتحان للتخصص .

٢٤ — إن الشيخ الرئيس يضيف إلى وظيفة الأمعاء الغلاظ المعروفة لدينا وظيفة أخرى نعرفها اليوم وهي استقصاء بعض بقايا الغذاء فهو يقول : « بعد استقصاء فضوله من الغذاء الكائن فيه » (٦/أ) .

٢٥ — يحدد صاحبنا أن مرض القولنج يحدث عند تعرّض قسم الأمعاء الغلاظ المعروف بالقولون للمرض فهو يقول : « وفي هذا المعاء التعرض من علة القولنج ومنه اشتق اسمه » (٦/أ) .

٢٦ — إن محاولة ابن سينا للوصف التشريحي الوظيفي الدقيق للشرح مفخرة أخرى في معرفة التشريح ووظائف العضلات وهو ما يحاول المعلم اليوم تدريسه لطلاب الطب في التشريح فهو يصف الشرح تشريحياً ويصف وظائف العضلات المحيطة به والمرض الذي ينتج عن رخاوة قد تصيب هذه العضلات فهو يقول : « ومنفعة هذا المعاء قذف الثفل إلى خارج وقد خلق الخالق ومده أربع عضلات لتغمدته وتمسكه واحدة مشتملة على فم المعاء المستقيم عند المقعدة » (٦/أ) . ثم يكمل قوله عن بقية العضلات الأخرى قائلاً : « وهي معينة لتلك من القبض والعصر وطرفيها بين العضلتين يتصلان بأسفل العصب وفوق هاتين العضلتين زوج — يتورب باشماله على المعاء المستقيم ومنفعته أشالة المقعدة إلى فوق وعند استرخاء هاتين يعرض للدبر أن يبرز » (٦/ب) .

٢٧ — تبدأ الكتب الطبية اليوم عند وصف المرض بتعريفه في البداية وهذا ما

يتبعه فيلسوفنا فيقول في تحديد القولنج : « القولنج مرض آلي يعرض من الأمعاء الغلاظ لاحتباس غير طبيعي فيتوجع » (٦/ب) .

ويعود ليشرح أسباب التسمية ويحدد الغرض من ذلك وهو تسهيل مهمة الطبيب الممارس في التشخيص والتفريق عن الأمراض الأخرى فهو يقول : « فالمرض جنس للقولنج والآلي فصل له عن الأمراض يسمى متشابهة الأجزاء وهي المزاجية فإنه وإن كان القولنج يعرض عن المرض المزاجي فلا يكون المرض المزاجي في نفس القولنج بل سبب القولنج » (٦/ب) .

٢٨ — إن الدارس للطب والمتخصص فيه لا يمر على هذه الكلمات من الكرام فهي كبيرة المغزى والأهمية من الناحية الطبية وخاصة إذا علمنا أن ذلك حدث قبل ألف عام وقبل أن يعرف فرويد ونظرياته ، فالشيخ الرئيس سبق الجميع وأشار إلى حقيقة علمية وهي أن الأمراض المزاجية ( النفسية ) قد تسبب أمراض الجهاز الهضمي فهو يقول : « وليس إذا كان المرض مزاجياً يجب أن يكون المرض مزاجياً » (٦/ب) .

٢٩ — نحن نسمي اليوم مرض الأمعاء الدقاق (Ileitis) وهي لفظة مقاربة للفظـة الشيخ الرئيس : « ايلالوس » (٦/ب) الذي يستعيز بالله منه « أي مستعاذ بالله منه فإنها تكون في الأمعاء الدقاق وليست هي القولنج » (٦/ب). ونحن نعرف اليوم أن مرض الأمعاء الدقاق أخطر على الحياة من مرض الأمعاء الغلاظ وذلك لكمية السوائل التي يفقدها المريض وتسبب وفاته .

٣٠ — إنه يستمر في التفريق بين الاحتباس غير الطبيعي في القولنج وبين غيره من الأمراض التي قد تشبه القولنج فهو يقول : « وقولنا لاحتباس غير طبيعي فرق بين القولنج وبين السحج والمغص والزحير وأمراض آلية في الأمعاء لا يسمى شيئاً منها باسم القولنج فإذا عرض فحينئذ يسمى الاحتباس دون القولنج وتكون هي أسباباً بالذات وبالعرض للقولنج » . (٧/أ)

٣١ — بعد أن أنهى الشيخ الرئيس التعريف ، يعود إلى تقسيم القولنج حسب أسبابه وهو ما يتبع اليوم في الكتب الطبية . إنه يعطي أهمية لما في الأمعاء الغلاظ من



مادة لها تأثير على المرض ونوعه فهو يقول : « والمحتبس في التجويف إما جوهر لطيف وإما جوهر غليظ والجوهر البخاري الريحي والجوهر الغليظ إما حيواني أو غير حيواني » (أ/٧) .

ثم يبين أسباب كل واحد منها ، فقد تكون للغذاء أو تكون ديداناً ويفصلها عن الصفراء أو السوداء بينما يعترف أن الدم قد ينفجر في الأمعاء ويؤدي إلى القولنج فهو يقول : « ثم الدم في الأوقات إذا انفجر في الأمعاء وجمد الدم ( جمد البلغم في نسختين ) قد يعرض منه القولنج (٧/ب) . ولكنه يعود لينصح باستعمال كلمة المغص لمثل هذه الحالات ليفرقها عن القولنج كما يقول : « وتلك العلة أولى باسم المغص منها باسم القولنج » (٧/ب) .

٣٢ — إن مرض القولنج اليوم يختلف عما يصفه الشيخ الرئيس ولكن أسباب مرض الإمساك التي قد يسميها القولنج هي نفس الأسباب المعروفة لدينا اليوم فقله : « إن أول أقسام القولنج البسيط خمسة ، احتباس ريحي وخلطي ودودي وثقلي وورمي ثم تشعب هذه الأقسام » (٧/ب) . يضيف عليها دقة علمية ووصفاً مرضياً حين يصف أن القولنج قد يحدث بسبب موجود في المعاء أو بسبب عضو مجاور له ، فهو يقول : « السبب الذي يعرض منه القولنج ربما كان في نفس المعاء وربما كان بحسب المجاورة » (٧/ب) . كما قد يكون مرض القولنج بالنسبة للشيخ الرئيس ما نعرفه اليوم بالانفتال (Volvulus) أو انسداد الأمعاء (Intestinal Obstruction) ، وهذا وارد حينما نقرأ قوله : « أن يكون من انضغاطه من عضو مجاور ، وهذا على أقسام ثلاثة لأن الانضغاط إما أن يكون لورم في ذلك العضو مثل القولنج بسبب ورم في المثانة والرحم أو لزوال ذلك العضو من وضعه مثل القولنج لدخول حرز الظهر داخلاً » لضربة أو سقطة أو لزوال ذلك العضو واتصاله كالفق قد يعرض في الصفاق فيقع فيها المعاء فينطبق ويحتبس الثفل » (٨/أ) وهذه الأسباب معروفة اليوم لدينا كمسببات للانفتال أو انسداد الأمعاء .

٣٣ — يعطي ابن سينا للكبد والطحال بعض الوظائف الأخرى المؤثرة على الثفل ولكن ليست كما نعرفها اليوم علمياً فهو يقول : « لمشاركة عضو من سوء مزاجه مثل تخفيف الكبد للثفل بفطر برودته » . (٨/أ) ، أو ذكر « النوازل

الدماغية « (أ/٨) ، ولكنه يستعمل الإشارة الطبية لغيره في نفي أو تفسير بعض الحقائق فهو يقول : « انصباب المرارة وقد أنكر بعضهم أن يكون ذلك سبباً للقولنج » (أ/٨) .

٣٤ — يربط الشيخ الرئيس العلاقة بين الكليتين وإدراها وسيولة الثفل ، فهو يعرف أن كثرة الإدراة تؤدي إلى التيس فيقول : « وإدراة كثير يعرض معه فيجف الثفل لميل المائية إلى جهة الكلية » . (أ/٨) ، وهو ما يعود ويؤكد من أهمية التعرق وتأثيرها على الثفل يقول : « وكذلك العرق الشديد للرياضة الكثيرة والقلب في الحر الشديد » (ب/٨) .

٣٥ — إنه يركز على الناحية الفلسفية في وظائف الأمعاء ويعطي لها أهمية كبيرة في تغيير الطعام ودفعه وأي اختلال في هاتين الوظيفتين يؤدي إلى ناحية مرضية فهو يقول : « والذي يكون في جرم المعاء فإنه يكون لأن قوته الدافعة ضعيفة أو لأن قوته المغيرة ضعيفة فلا تحيل الغذاء إحالة جيدة بل يبقى طعاماً لزجاً كثيفاً فيحتبس الثفل بلزوجته وغلظه » (ب/٨) . ويربط بين الحالة النفسية ودرجة القوى فهو يقول : « على أن سوء المزاج يتبعه ضعف القوى » (ب/٨) .

٣٦ — يشرح الشيخ الرئيس في الفصل الثالث (أ/٩) ، تفصيل أصناف القولنج الكائن بالمشاركة وفيه بعض الحقائق التي لا تتفق مع العلم الحديث مثلاً قوله : « أما الدماغ فيكون سبباً للقولنج البلغمي فقط بسبب النوازل التي تنزل عنه » (أ/٩) . وهذا مالا يعترف به العلم الحديث ، ولكن عندما يتكلم عن المرارة فهو يصيب كبد الحقيقة ، فاليوم نعرف أن نقص المرارة وعدم إفرازها يؤدي إلى الأعراض نفسها التي ذكرها الشيخ الرئيس بقوله : « وثانيهما ما ينصب منها إلى الأمعاء من المار فيكون ذلك سبباً لاحتباس الثفل ولاحترقان الرياح الغليظة واستعصائها على التحلل لأن المار يعين في دفع الفضول من وجهين الفسل والتنبيه للقوة الدافعة للذع » (أ/٩) .

٣٧ — إن شرح الشيخ الرئيس للكلية وطرق تسببها في الإصابة بالقولون ذات مدلول طبي كبير فهو يشير إلى ما نعرفه اليوم بـ ( RE Ferred Pain ) وهو الألم الذي يصيب عضواً عند مرض عضو آخر ونؤكد في الحياة العملية والحياة التدريسية فالألم

المرارة قد تظهر على الكتف ، ونحن نعرف اليوم أن أمراض الكلى كالحصاة قد تسبب القيء والمغص المعوي وهو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « وأما الكلية فيكون سبباً للقولنج من وجوه ثلاثة ؛ إما لورم فيها فيضغط ، وإما لحصاة فيها فيوجع القولون بالمشاركة فيضعف من فعلها فيحتبس الثفل ، وإما لكثرة إدرارها البول . والقسمان الأولان يتولد منها جميع أصناف القولنج » (أ/٩) .

٣٨ — نحن نعرف اليوم أن أورام المثانة قد تسبب اضطراباً في الأمعاء الغليظة وحتى انسدادها وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلاً : « أما المثانة فتحدث القولنج إما لورم يحدث فيها فيضغط ويحبس الثفل والرياح والأحلاط ، وإما بالإدراج أيضاً نحو ما قيل في الكلية » . (ب/٩) .

٣٩ — ولكنه يعود فيعطي الطحال وظيفة لا نعرف بصحتها اليوم في تسبب مرض القولنج فهو يقول أسباب ثلاثة : أحدها لتبريد القولون والمعاء كله والمعدة ، والثاني بسبب كثرة انصباب السوداء منه فيحتبس وتولد الريح ولضعف قوة المعاء وأما الورم وهذا أقل . (ب/٩) ولكنه يعود ليؤكد حقيقة علمية معروفة لدينا وهي أن تضخم الطحال يجري على وجه الأمعاء ولا يضغطها ، وهذا يعدّ مفخرة في الفحص الطبي السريري وهو ما نؤكد عليه اليوم عند تدريس طببة الطب ، فهو يشير إلى هذه الحقيقة قائلاً : « ورم الطحال في الأكثر يجري على وجه الأمعاء وقلما يعرض أن يضغها » (ب/٩) .

٤٠ — يذكر الشيخ الرئيس بعض النقاط التي نؤكدها جراحياً . فنحن نعرف اليوم أن الأمعاء قد تلتوي إذا سقطت في الفتق ولم تعد ، وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « في الفتق الذي يعرض للصفاق الذي تحت المراق فيضغط فيه الأمعاء » (ب/٩) . وقد يغفل الطبيب اليوم هذه الحقيقة بالرغم من دراسته ، فكيف بالشيخ الرئيس قبل ألف عام والذي يعود ليؤكد أن الأمعاء قد تلتوي إذا انتهكت رابطاتها وهو ما نعرفه جراحياً فهو يقول : « أو لانتهاك رابطة عن المعاء العلوي فيلتوي » (ب/٩) .

٤١ — لا يعطي ابن سينا في الفصل الرابع (١٠/أ) ما نسميه تفسيراً علمياً

مقبولاً لأسباب القولنج بذاته فهو يركز كثيراً على الرطوبة والحرارة ويعزو إلى سوء المزاج وتأثيرهما على الحرارة والرطوبة ولكنه يعود للحقائق العلمية مرة أخرى عندما يتكلم عن المرض الآلي فهو يقول : « وأما المرض الآلي الذي يقع في نفس المعاء يكون سبباً للقولنج هو الورم وأكثر ما يعرض فيه من الورم هو الورم الحار » (١٠/أ) .

٤٢ — إن الطرق والحقائق العلمية في كتاب الرئيس مبعثرة حسب تسلسل الكتاب فهو عندما يقول : « إما حصة كما قيل في النادر ربما عرض قولنج عن الحصة فقد شوهده إنسان — عرض له قولنج بسبب سد حصة محتبسة في المعاء للمسلك وانها لما أبرحت اندفعت إلى خارج انطلقت الطبيعة وأخلت القولنج » (١٠/ب) .

إن هذه الكلمات تشير إلى نقطتين أولهما ما نسميه بتسجيل حالة مرضية (Case Report) بقوله : « شوهده إنسان » وثانيهما احتمالات إيجاد تلك الحالة المرضية (Incidence) بقوله « في النادر » وتلك إنجازات تضاف إلى الحقائق الأخرى أيضاً .

٤٣ — يفرق ابن سينا بين الكمية والنوعية التي نعطيها أهمية كبيرة في عالما الطبي اليوم فهو يقول : « إما لكيفية الغذاء وإما لكميته وإما لتركيبه وإما لترتيبه » (١٠/ب) .

ويستمر بذكر الأمثلة لكل واحد منها فهو يقول : « فأن يكون الغذاء في جوهره يابساً قابضاً مثل الذرة والجاورس والجبن » (١٠/أ) ، أو حتى بطرق التحضير قائلاً ضاراً كذلك بالصنعة مثل المشوي تشوية بالغة من اللحوم والبيض » (١٠/أ) . وهذا يتبعه اليوم الطبيب عند وصفه للأغذية وطرق تحضيرها ولما له من أهمية لا تقل عن الدواء ولم يغفلها الشيخ الرئيس ثم يعود ليناقد الكمية بعد أن فرغ من النوعية قائلاً : « فأما كثرتة إذا كان كثيراً لا تهضمه الطبيعة ولا يقدر على دفعه » (١٠/ب) . وهذا ما نسميه اليوم التخمة وعسر الهضم، وأما قلته فإن الغذاء إذا كان قليلاً والجوع شديداً أقبلت الطبيعة على استقصاء المرض فيجفف الثفل » (١٠/ب) . وهذا ما نشاهده في الجوع » .

٤٤ — يعطي ابن سينا أهمية كبرى للغذاء في أن يكون سبباً للقولنج قائلاً وخصوصاً القرع فإن له خاصية في إحداث القولنج ، وأن يكون كثيره فلا ينهضم تمام الانهضام ، وكل غذاء لم ينهضم تمام الانهضام فهو بلغم . (١١/أ) . وهو مصيب عندما يصف الأغذية التي لا تنهضم قائلاً : « والأغذية التي لا تنهضم يكون من حقها أن تندفع عن الطبيعة فإن كانت معتدلة المقدار واندفعت بسهولة وإن لم تكن معتدلة بل مفرطة الكثرة فلا يخلو ، أما أن يقوى عليها الحركة العنيفة من الطبيعة فيدفعها دفعاً بعنف فيعرض إن تتبعها رطوبات أخرى من البدن فيكون إما استطلاق وذرب وإما هيضة فإن عجزت القوة الدافعة عنها حدث القولنج (١١/أ) .

٤٥ — نحن اليوم نوصي المريض بعدم نسيان نفسه عندما تدعو الحاجة إلى التبرز فهذا مضر وقد يؤدي إلى الإمساك الشديد المرضي وهذا ما لم يغفله الشيخ الرئيس فهو يقول : « أو ضعف عضل البطن من تشنج أو استرخاء أو كثرة الصبر على مدافعة الحاجة » (١١/ب) .

وهنا يوضح نقطتين : أنه يعلم أن الإنسان يحتاج إلى عضلات بطنه للتبرز بزيادة الضغط ، فالعصر وهذا يفقد متى ما كان العضل ضعيفاً نتيجة تشنج واسترخاء ، وثانيهما ركز على أهمية تلبية نداء القولنج «Colonic Call» الذي يسميه مدافعة الحاجة والذي له أهمية كبيرة في أمراض القولون ومعالجتها في عصرنا هذا .

٤٦ — نعرف اليوم طيباً أن الماء البارد على الريق قد يسبب المغص المعوي وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس قائلاً : وشرب الماء البارد كثيراً أو خصوصاً على الريق وتناول الأغذية الكثيرة دفعة أو تناول على التخمة وقلة الرياضة » (١١/ب) .

٤٧ — إن الشيخ الرئيس عند وصفه لعلامات القولنج المرضية لا يختلف عن أي كتاب طبي اليوم فالتسلسل والتتابع والوصف الشامل موجود عنده فيقول : « علامات القولنج جملة وتفصيلاً تبدئ أولاً بتقلب نفس وبعض الطعام وفوات شهوة له ووجع الأطراف وخصوصاً في الساق ، ويظهر وجع ناخس في البطن يبتدي أكثره من اليمين ثم يصير إلى اليسار ، وكذلك يظهر عند ابتدائه في الأكثر خرز من أصل القضيب وتنجذب إحدى الخصيتين إلى فوق ثم يشتد الوجع دفعة ويعرض قيء وكرب لاحتباس البطن والريح ، وربما أدى لشدة الوجع أن يحدث غشي وعرق بارد

(١٢/أ) . وهو يفرق بين الأسباب الظاهرية والخفية ويدلل على ذلك بالعلامات الناتجة من الخفية فهو يشير إلى ذلك بقوله : « مثل احتباس ما ينصب إلى الماء من المراءة وعلامة ذلك بياض ما كان يبرز وحدث اليرقان وكون البول زعفرانياً إلى السواد وانصباغ زيد البول بالصفرة » (١٢/ب) .

إن هذه الأعراض المربوطة منطقياً وطبياً تدل على حقائق كثيرة لوحدها فانصباغ زيد البول بالصفرة هو ما يفتش عليه طبيب اليوم عند محاولته البحث عن الصفراء في البول وهذا إنجاز طبي لوحده .

٤٨ — يتطرق الشيخ الرئيس في الصفحة (١٢/ب) من المخطوطة شارحاً علامة كل نوع من أنواع القولنج ، وهو ما نتبعه في الوصف الطبي اليوم ، ويشير إلى اختلاف الأعراض تفصيلاً دقيقاً . ففي الريحي يقول مثلاً : « وأما الريحي فعلامته ثفلاً وتمدد ومغص في الماء ، وقرقر تقدمت ثم سكنت واحتباس الثفل معه أو قلة خروجه وكون ما يخرج شبيهاً باخشاء البقر وإذا ألقى على الماء طفا ولم يرسب » (١٢/ب) .

والناظر إلى هذا التشبيه باخشاء البقر تسهلاً للممارس الطبي وحقيقة الإلقاء في الماء الذي هو نوع من الفحص الطبي ، بحد ذاته ، يدل على طول باع في الممارسة الطبية وقوة الملاحظة والاستفادة منها في التشخيص التفريقي بين مختلف أنواع القولنج .

٤٩ — نحن اليوم نستفيد من وصف نوع الألم للتوصل إلى المرض في الممارسة الطبية ، وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « كأن الوجع يثقب يثقب أو كأنه مسلة مغروزة فيها والذي يثقب يكون سببه رجاً متحركة ، والذي هو كالمسلة سببه رجاً محتبسة » (١٣/أ) .

٥٠ — إنه يربط بين أعراض المرض وأسبابه والاستفادة من تاريخ المرض بالتوصل إلى نوع العلة فيقول : « فأما الكائن من الديدان فيعرف من بروز الديدان وسقوط حب القرع والعلافة التي يكون مع ذلك من تغيير اللون ونهوك البدن وتحلب الريق وغير ذلك فإذا كانت هذه العلامات موجودة ثم احتبست الديدان فلم تسقط البتة ،

عرف أن القولنج منها « (١٣/أ) . فماذا نزيد نحن اليوم عندما نريد أن نعرف أن الديدان هي سبب الانسداد سوى اتباع هذا الأسلوب في التحري والفحص .

٥١ — أما العلامات التي يعطيها للنزف وفقدان الدم فهي نفسها اليوم والتي تؤكد على طالب الطب التفتيش عنها ، بقوله : « وأما الكائن بسبب دم منصّب جمد في المعاء فعلامته أن يكون وجع ثقيل مع خروج الدم فيما سلف ومع ضعف قوته وغشي وعرق بارد » (١٣/أ) .

٥٢ — يفرق صاحبنا بين الأنواع المختلفة للقولنج في الوصف الدقيق ، فقوله : « وعلامة ما يكون من الورم ، أما الحار فأن يكون هنالك حمى ووجع مع ثقل وهذيان وتلهب وتمدد وعطش وتهيج العينين وحمرة اللون واشتداد الوجع عند استفراغ الغائط وقد يحتبس معه البول أو يعسر » (١٣/ب) . ويفرقه عن البارد بقوله : « وأما البارد والرطب فعلامته تقدم براز رقيق إلى البياض ما هو وبرد يحس في المعاء وسقوط شهوة رصاصة اللون وثقل في المعاء مع ترهل في المراق وعنان من غير وجود الصلابة اللينة في اللمس » (١٣/ب) . فماذا يريد الطبيب الذي يدرس هذا الكتاب أكثر عندما يريد التفريق بين الأنواع ، وهذا ما هو متبع اليوم في التدريس الطبي .

٥٣ — إنه يركز على كل صفة خاصة بنوع القولنج فهو يقول : « وأقربها أصنافاً » من الخطر هو الورمي ، وأشدّها وجعاً هو الريحي . (١٣/ب) . وهذا ما نشاهده اليوم في الممارسة العملية اليومية .

٥٤ — يستعمل الفيلسوف ابن سينا التشخيص التفريقي Differential diagnosis بصورة لا تختلف عما يجري اليوم في الحياة الطبية ويسهل للطبيب الممارس ذلك ويعطي نقاط التشابه والاختلاف ، ويخصّص فصلاً كاملاً لذلك فهو يقول : « الفصل السابع بين القولنج وأمراض تشابهه ، أمراض تشبه القولنج وليست به ، وأمراض يشبهها القولنج ، فيظن أنها هي فمن ذلك وجع الكلية والمغص وهما أشد الأشياء شَبهاً ، ثم السحج ووجع المعدة إذا انحدر إلى الأمعاء ، ووجع المثانة ووجع الرحم ووجع الديدان والحياة » . (١٣/ب) ثم يفرق بين كل واحدة منها وبين

القولنج ويفصل ذلك تسهلاً للعمل الطبي فهو يقول : « والفرق بين القولنج وبين الحصاة في الكلية ويعرف من هذه الأشياء أن البول في حصاة الكلية يكون في ابتداء الأمر صافياً رقيقاً ثم يجري معه في آخر الأمر رمل وورم ، وفي القولنج يكون كدراً في الابتداء » (أ/١٤) .

ويفرقهما بالعلاج أيضاً فهو يشير إلى ذلك بقوله : « والحقنة تفيد الراحة بما يستفرغ من الرطوبات ولا يظهر ذلك في الحصاة بل ربما ظهر ضرر بل إنما ينفع بالأشياء المفتحة للحصاة » . (أ/١٤) فهو يبين أن الحصاة يمكن أن تفتت وأن الطبيب يجب أن يأخذ حذره من الحقنة في المغص الكلوي الذي قد تضروا الحقنة . وهو يعود ليشير إلى أن حصاة الكلية قد تؤثر على الأمعاء وتسبب الإسهال فهو يقول : « وربما انحلت الطبيعة في حصاة الكلية بذاتها إذ لا يكون الاحتباس هنالك كما في القولنج » . (أ/١٤)

وينبه الطبيب إلى أعراض أخرى في حصاة الكلية قائلاً : ويكون في الفخذ والخصيتين اللتين تليان الكلية العلية خدر في أكثر الأمر (أ/١٤) . وهو ما نسميه اليوم الألم الرجيع (REFFERD PAIN) ونؤكد في الفحص الطبي .

٥٥ — ويؤكد للطبيب أهمية التشخيص التفريقي لأنه يعرف أن خطأ الطبيب قد يؤدي إلى وفاة المريض فهو يقول : « فيخطئ الطبيب ويعم باستعمال القوابض والمقريات فيكون ذلك هلاك العليل » . (ب/١٤) وبين الحالة التشخيصية الصعبة التي قد يختلط فيها الأمر على الطبيب ويخطئ أو يقع في الخطأ فهو يقول : « وأصعب ما يشكل هذا إذا اجتمع زحير وقولنج » . (ب/١٤) .

٥٦ — إن الشيخ الرئيس يقوي حجته بالإشارة إلى الثقة في الطب والمشهورين كما نفعل اليوم فهو يقول : « وقال جالينوس إن كل وجع شديد في البطن فهو قولونج لأن الكبد والطحال وغير ذلك من الأعضاء المنطبقة بالأمعاء لا يبلغ وجعها وجع قولون ثم معاء قولون يبلغ جهات البطن » . (ب/١٤) .

٥٧ — إن الشيخ الرئيس لا يكتفي بالقولنج كمرض منفصل بل يذكر الأمراض التي ينتقل إليها وهو يخصص الفصل الثامن في ذكر الأمراض التي من شأن القولنج



أن ينتقل إليها : إن القولنج ينتقل إلى الصرع وإلى الفالج وإلى أوجاع المفاصل وإلى السحج واليرقان وإلى الخفقان وإلى الاستسقاء وعسر البول واسترخاء المعدة والرحير والبواسير . ( ١٥/أ ) وهي مضاعفات معروف كثير منها في أمراض القولنج . ولكن تعليقاته لها لا تتفق وما نعرفه علمياً اليوم فهو يقول : « تلك الأخلاط إلى الأعضاء الأخرى فإن تصعدت إلى الدماغ وكانت رطبة أحدثت الفالج والسكته والصرع ، وإذا انصب إلى بعض الأعصاب أحدثت الاسترخاء ، وإذا قبلها المفاصل حدث أوجاع المفاصل الباردة ، فإن مالت إلى ناحية الكلية والمثانة أحدثت عسر البول ، وإن كانت حارية ومالت إلى الدماغ أحدثت السربام وهذا نادر ، فإن أكثر ما يتفق للأخلاط الحارية المحتبسة بسبب القولنج أن ما ينصب إلى الجلد فيحدث اليرقان . ( ١٥/أ ) .

٥٨ — إن ابن سينا يشرح سبب الخفقان كما نشرحه اليوم فهو يقول : « وأما الخفقان فيحدث لميل المواد إلى فم المعدة من ناحية القلب . ( ١٥/أ ) .

٥٩ — إن الشيخ الرئيس لا ينسى مضاعفات استعمال الحقنة في المعالجة ويصف تأثير ذلك على المريض قائلاً : « وأما السحج إما لاستتباع الاستفراغ بالحقن أخلاطاً حادة أو لأجل أن الحقنة الحادة يخرط المعاء ويجرده ، وأما الزحير فيكون لضعف المعاء المستقيم ونكايه الحقن به واسترخاء المقعدة أيضاً بمثل ذينك في عضل المقعدة . ( ١٥/ب ) . ويعطي نفس التفسير غير العلمي للبواسير قائلاً : « وأما البواسير فلقبول المعاء في نفسه أخلاطاً ردية يحدث البواسير ويضعف المقعدة فيقبل المواد المنصبة إليه . ( ١٥/ب ) .

٦٠ — إن المقالة الثالثة مخصصة لمعالجة القولنج البارد ، ولكن ابن سينا يؤكد الحقيقة الطبية التي نمارسها اليوم وهي أن الطبيب يجب أن يكون متأكداً من تشخيصه للمرض قبل بدء المعالجة فهو يقول : « وأول ما يجب عليك أن تتفقده في كل قولنج تفقداً صالحاً أنه : هل العلة قولنج أو مغص ؟ ( ١٥/ب ) لأنها إذا كانت مغصاً ماذا يحدث للمريض ؟ فإذا كانت العلة مغصاً وكانت الطبيعة مستعدة لينة أو خلفه فحقنت أو سقيت ما يستفرغ كان في ذلك خطر عظيم . ( ١٥/ب ) وهو يعود لينبه الطبيب المعالج بأنه قد يخلط هذا المرض مع الورم قائلاً : « وكذلك

إمكان ابتداء ورم محتبسة قولنجاً بارداً أو رنجياً أو نوعاً آخر فحقنت وسقيت مستفرغاً أوقعت العليل من أمر مخوف (١٦/ب) .

٦١ — يؤكد العلامة ابن سينا على التمهّل في العلاج واختبار العلاج الذي لا يؤدي إلى مضاعفات لا يستطيع الجسم ردها فهو يقول : « وإذا علمت أن العلة شديدة للمادة غليظة فاياك والمدافعة والاشتغال بريقق العلاج وضعيفه فإن القوة إذا سقطت لم ينجح الدواء القوي ولا الضعيف » . (١٦/أ) .

وهل يجد الطبيب نصيحة من أستاذه أحسن من قول الشيخ الرئيس ؟  
« ويجب أن تزن الدواء بقدر الداء » . (١٦/أ) والكل يعلم اليوم أن كثيراً من الأمراض يسببها الطبيب لمريضه بالمعالجة الخاطئة التي ينهنا لها الشيخ الرئيس قبل ألف عام .

٦٢ — إن الشيخ الرئيس يعود لينصح الطبيب من مغبة الإدمان الذي قد يسببه للمريض بالمعالجة فهو يقول : « والآذن يجب ألا يكب على استعماله كل وقت وخصوصاً مع الغشي ، لأنه إذا كان هناك غشي ضرراً عظيماً وإذا أدمن كمن البرد من الأمعاء » . (١٦/أ) .

٦٣ — إن التجربة العلاجية مسموح بها للطبيب المعالج في عصرنا هذا ، وهو ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « وأما التكميد فيعتمد من التجربة ، فإن كان يهيج الوجع ترك أصلاً » (١٦/أ) .

٦٤ — إن الشيخ ابن سينا يؤكد على أهمية الغذاء في المعالجة لكل نوع من أنواع القولنج ، كما يتناول بالتفصيل طريقة إعداد الغذاء والمواد الواجب إضافتها لكل نوع ، ففي الصفحة (١٧/أ) من المخطوطة يؤكد على هذا فهو يقول : « فليقتصر تحسي شورباجة مطبوخاً فيه الحمص ومطوية بالشبت والدارسين ويتناول في وقت لا يؤدي فيه الغشي » . (١٧/أ) . وهو يحدد وقت تناول أيضاً .

٦٥ — إنه يؤكد على الطبيب بعدم الخطأ في التشخيص لأن ذلك يؤدي إلى وصف الغذاء المغلوط أيضاً وهذا ما يشير إليه بقوله : « ومن الخطأ الذي يقع للأطباء في هذا الباب أن يحسبوا العلة ثقلية فتناولوا مثل البنفسج والشيرخشت

خاصة فيفسد مزاج المعدة وبرودها .» (١٧/ب) .

٦٦ — إنه لا يكتفي بوصف الغذاء فقط ولكن يصف ما يجب على الطبيب أن يجنب مريضه من تناوله وهو ما نطلق عليه اليوم بالنواهي (Contraindication) فهو يقول مثلاً : « ويجب أن يمتنعوا البقول حتى الحارة فإنها لا تخلو من نفخ ما خلا السداب والهلين وروس الكراث النبطي والقرطم وينفعهم جداً » . وقد مدح لهم السمسم : « وإما أن للمشدة مضرته بالمعدة ويهيج الغثيان » (١٧/ب) . وهو يحاول أن يشرح أسباب النواهي حسب التركيب الغذائي فهو يقول : « وإما أن للمشدة مضرته بالمعدة ويهيج الغثيان ولأن جوهر مادته لهذه العلة الزوجة وإن كانت قوته جلاءه وفيه ثلثين فلسست أحبه في هذه العلم ، واعلم أنه ينفع أولاً ثم يضر » . (١٧/ب) .

٦٧ — إن الشيخ الرئيس لا يترك المريض دون أن يكمل له علاجه فهو يعلق على الماء ولا ينسى خواصه الفيزيائية ، وهو يعرف أن الماء قد يؤدي إلى الإمساك ويجب معالجته قبل تناوله في بعض الحالات فهو يقول : « وأما شرب الماء فيجب أن يقللوا منه ما قدروا وخصوصاً من الماء البارد المثلج ، وأن لا يستوفوا الري دفعة بل يتجرعوه قليلاً قليلاً ويتجنبوا ما فيه قوة قابضة مثل المياه الشبية ، وأما الكبريتية فإنها لا تضر ضرر الشبية بل ربما كانت خيراً من العذبة ، ويجب أن يكون الماء الذي تشربونه ماءً خفيفاً جداً فإن أعوز فيجب أن يصعر ويخلط بمدر مشموصة من طين حرّ ويحمض تحميض اللبن شيئاً كثيراً ثم يصفى ويشرب .» (١٨/أ) .

إننا نمارس شرب الماء جرعاً جرعاً في الحالات المرضية لأن الامتلاء المفاجيء للمعدة قد يسبب الغثيان والقيء وهذا ما يريد الشيخ الرئيس أن يجنب مريضه منه في ذلك الوقت .

٦٨ — إن طبيب اليوم يذكر أوزان الأدوية في الوصفة حسب تأثير الأدوية التي يطلبها كما أنه يبدل فيها عندما ينشد مفعولاً خاصاً حسب نوع المرض وهذا ما يتبعه الشيخ الرئيس بالتفصيل فقله : « الفصل الثاني في تدبير الأدوية التي يشربها أصحاب القولنج البارد ، وأما الخفيف اللطيف الذي يجب أن يسقى في الابتداء كما

يبتدي النخس قبل أن يتمكن العلة والايّاح نحو مثقال ومعه نصف درهم تريد أو صبر مثقال وسكبنج نصف مثقال أو ايارج درهم وسقمونيا دائق وتريد نصف درهم وثمايقون دانقان فإن أريد أن يكون أسرع إسهالاً وكانت المادة كثيرة رُكّب هذا بأيارج مثقال شحم الحنظل ربع درهم ملح نبطي وسقمونيا مكّد دائق ودانقين ودقوا». (١٨/ب). فماذا يريد الصيدلي أكثر من توضيح هذه الوصفة بصورة عمودية متسلسلة لتصبح وصفة موصوفة اليوم ؟

إنّ الأوزان المذكورة معروفة للصيدلي وإلا لما ركّز عليها الشيخ الرئيس ، وهذا ما يدل عليه وصفه للعلاج وتغيير تراكيبه ، فالطبيب لا يكتب وصفة لنفسه بل لصيدلي عارف يقوم بتحضيرها له .

٦٩ — من الصعب التعليق طبياً على فعالية المواد المذكورة في الكتاب وتختلف الأمراض ، وذلك لأنّ أسماء الكثير من المواد لا نعرفها بالضبط ويجوز أن قسماً منها مستعمل فعلاً في تراكيب الأدوية الحديثة ، أما الفعالية الطبية فلا تطلق جزافاً دون التجربة والبحث الطبي لتقصي تلك الحقائق ومعرفة مدى فعالية هذه الأدوية التي سبق وأن جربت وأعطت فعالية علاجية وهي مجال واسع رحب يغطي أحد أسباب البحث في إبراز المخطوطات الطبية ومعرفة محتوياتها إكمالاً للفائدة الإنسانية وإظهار الحق في مدى مساهمة الفكر العربي والإسلامي في الحقول الطبية التي يحاول الغرب طمسها .

٧٠ — إن الشيخ الرئيس يكمل وصفه للوصفة الطبية بالإشارة إلى ما نسميه اليوم الجرعة : «DOSE» فهو يقول : « والشربة نصف مثقال ». (١٨/ب) . ولا ينسى أن يضيف الوقت الذي يجب على المريض أن يتناول فيه العلاج فهو يقول : « ويسقى بعده بساعتين هذا الشراب ». (١٨/ب) .

٧١ — إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن مفعول الأدوية قد يختلف من بلد لآخر بسبب الجو والمناخ فهو يقول : « ومعجون الأسقف نافع للشمائخ وفي البلدان الباردة الصخرية موافقة عجبية » . (١٩/أ) . وهذا ما نعرفه اليوم .

٧٢ — ينبه الشيخ الرئيس الطبيب لحقيقة التداخل العلاجي - DRUGINTER

«ACTION الذي قد يذهب بفعالية الدواء ، والمعروف لدينا اليوم ، فهو يقول : « وإذا سقوا الأيارج بعد دهن الخروج أذهب بقابليته واستفرغ من الخلط ما بقي » . (أ/١٩) .

٧٣ — إن الشيخ الرئيس يبنه الطبيب لنتائج المعالجة الطبية ويستعملها داعية لاستمرار المعالجة (INDICATION) الطبية فهو يقول : « فإن خرج الثفل وبقي الوجع فأعد وأعد حتى يخرج ثفل رقيق مري أو شيء شبيه بمح البيض عفنّ منتن ، وينكل في تكرار الحقنة حتى يستفرغ المادة بكليتها ويُسكن الوجع » . (١٩/ي) وهو يبنه لما يجب عليه أن يفتش عليه ليعرف نتيجة المعالجة الطبية ووجوب تبديلها إذا فشل العلاج الطبي .

٧٤ — إن بعض الوصفات الطبية التي يستعملها الشيخ الرئيس تحتوي على بعض المواد التي لا يتقبلها العلم الحديث ، ونطلق عليها بعض الأحيان خرافات علاجية ، ولكن العذر الذي نعطيه لطبيب تلك الأوقات هو عدم وجود التصنيع الدوائي المعروف في الوقت الحاضر ، فاستعمال خرق الذيب الأبيض لا نقبله علمياً اليوم ولكنه يصفه بقوله : « خرق الذيب الأبيض درهمين يطبخ مثل الأولى » . (أ/٢٠) .

٧٥ — إن الشيخ الرئيس يستعمل الحقنة في المعالجة الطبية ولكنه يبدل تركيب الأدوية التي يستعملها فيها للحصول على النتيجة المرجوة من المعالجة الطبية في مختلف الحالات المرضية ، فهو يبدل الحقنة إذا كانت العلة أصعب ، أو أن النتيجة لم تكن مرضية ، أو إذا احتيج إلى تأثير أقوى ، أو أن الحقنة الفلانية مجربة ، فهو مثلاً يذكر بأن يحقن به ، وهذا مجرب غايته ، فإن أعوزت الخطاطيف استعمل هذه الحقنة » . (أ/٢٠) .

٧٦ — يشير صاحبنا إلى مدة بقاء الحقنة في الأمعاء أثناء المعالجة ويعطيها الأهمية في التأثير العلاجي وهو ما يمارسه طبيب اليوم حينما يريد تأثيراً خاصاً للحقنة المحتبسة (Retention Enema) فهو يقول مثلاً : « ويتركها حتى تبقى هذه في الجوف فيفعل فعلها » . (أ/٢١) .

٧٧ — إنه يفرق بين المرضى والحالات المرضية ومدى استفادتهم من العلاج فهو يقول مثلاً : « والذين يعترهم هذه العلة دائماً ، وغير شديد ينتفعون منفعة عجيبة بهذه الحقنة » . (٢١/ب) .

ويذكر مثلاً طبيباً (Case Report) ليؤكد قوله قائلاً : « وقد عالجت بهذا وحده فقيهاً ببخارى فانقطعت عنه هذه العلة وأذابت غدة عظيمة كانت في معائه » . (٢١/ب) .

٧٨ — لم يكن باستطاعة الشيخ الرئيس استعمال وسائل الفحص الحديث مثل التشخيص بالأشعة والمختبر . لذا فهو يستعمل موضع الألم كدليل للعلاج وينصح الطبيب بترك الحقنة إن هي آلمت المريض فهو يقول : « استعمال الحقنة بتأمل موضع الوجع وجهة ميله ، فإن كان الميل إلى الظهر فيجب أن تستعمل مستلقياً ، وإن كان إلى قدام استعمال مبركاً ، وإن مال إلى جانب فعلى ذلك الجانب ، وعلى كل حال فأني نص استعمال عليه الحقنة فأدت إلى تألمه وجلبت عليه مشقة ، تركت واستعمل على ما سهل عليه ، فيجب أن يجرب أسباب حقنه فأیما أخف عليه أخذ به » . (٢٢/أ) .

٧٩ — إن الشيخ الرئيس يستعيز بالحقنة باستعمال الحملات وهي إحدى وسائل المعالجة المتبعة اليوم فهو يقول مثلاً : « ويشيف حملات قوية يخرج الثفل الكثير مع البلغم اللزج يجعل طولها ست أصابع » (٢٢/أ) .

٨٠ — في الفصل الرابع المخصص لمعالجة القولنج الثفلي يبدؤه الشيخ الرئيس بالقول : « إن التكميد من أضر الأشياء لهذه العلة » . (٢٢/ب) ناصحاً الطبيب ومنبهاً إياه للنواهي (Contraindication) ويلزمه بالتفتيش عن السبب الأصلي للمرض فهو يقول : « وقبل هذا فيجب أن يبحث عن السبب » . (٢٢/ب) ، لأن معرفة الطبيب للسبب سوف تنير طريقه في المعالجة ، كما يقول : « فإن كان السبب هو يس الأغذية فيجب أن يستعمل الأغذية المرطبة اللينة المزقة » . (٢٢/ب) .

٨١ — إن الاستشهاد بالحالات المرضية ووصف حالات خاصة تعزز التشخيص ، وتفيد في تذكير الطبيب الممارس إلى ذلك ، فيه أهمية تعليمية كبرى

وهذا ما يمارسه الشيخ الرئيس بقوله « وقد ذكر بعض المتطببين أن رجلاً أصابه القولنج بسبب تغذيته بأربعين بيضة مشوية وكان من علاجه أن أشار عليه باستعاف ثلاثة راحات من ملح ثم يتجرع الماء الكثير فلما عملت بذلك انطلقت طبيعته ». (٢٢/ب) .

٨٢ — يخصص ابن سينا في الصفحة (٢٣/أ و ٢٣/ب) وصف الأغذية التي يجب أن تستعمل لكل نوع من أنواع القولنج ويركز على جانب النتائج لتبديل تلك الأغذية ويترك مجالاً للتجربة في الحصول على نتائج أفضل ، كما يخصص الفصل الخامس (٤٢/أ و ٤٢/ب) للحقن والشفافات التي تصلح لهم مبنياً تركيب كل حقنة بالتفصيل وطريقة تحضيرها كما تنبئه اليوم فهو يقول مثلاً : « تعمله حقنة يؤخذ من السلق قبضة ومن النخالة حفنة ومن التين عشرة أعداد وخطمي أبيض عشرة دراهم يطبخ في سبعة أرتال ماء حتى يبقى رطل ويلقى عليه من السكر الأحمر عشرة دراهم ، ومن البورق مثقال ، ومن المرى نصف أوقية ويحقن به ويعاد مثل الحقنة بعينها حتى يُخرج جميع البنادق ». (٢٤/أ) . وفيه وصف لطريقة صنع الحقنة أيضاً .

٨٣ — إن الشيخ الرئيس ينبه الطبيب إلى مضاعفات العلاج وطرق المعالجة إن حدثت تلك المضاعفات فقد خصص فصلاً كاملاً قائلاً : « الفصل السادس في تدارك أحوال تعقب الحقن (Treatment of complication) قد يعقب بعض الحقن في القولنج إذا استعملت بمقدار أكثر وكانت أغلظ قواماً أو أقل سخونة بالقوة أو بالفعل . أما للتوقي على عضو تجاوز الأمعاء .. ». (٢٥/أ) .

٨٤ — لا يترك ابن سينا من المضاعفات التي نعرفها اليوم شيئاً دون أن يدونه ويصف للطبيب طرق الوقاية والعلاج فهو يذكر مثلاً : « وقد يعرض من الحقنة استرخاء في المقعدة وتخدر ويتدارك بالعود إلى الحقن والشفافات التي تخص القولنج ». (٢٥/ب) . ويكرر قوله : « وربما عرض للمقعدة السليخ والتقرح بالشفافات وبطرق الحقنة إذا كانت فيه خشونة ويصلحه صفرة البيض السليقة بماء السماق يذوبه بدهن الورد ». (٢٦/أ) . أما المضاعفات الأخرى فلا يتركها دون أن يفسر للطبيب الطرق الصحيحة في معالجتها دون الإضرار بالمريض فهو يقول مثلاً : « وربما أعقبت الحقنة الكبيرة مع ما ذكرناه أولاً تقطير البول وعلاجه الأبرز »

والمروخات بالأدهان المرخية على القطن والعانة والمدررات شرباً ، إلا أن يكون ثفلياً مانعاً لإدراج كثير فلا يستعمل حينئذ المدررات بل المرخيات والأبزن ، وترك الحقنة يكفي فيه . ( ٢٦/أ ) .

٨٥ — من الحقائق العلمية الطبية التي نركز عليها في تدريس طلبة الطب ، أن العلاج يجب أن يكون سبب علاج جذري «RADICAL» لأعراضه ، كما أن الطبيب يجب ألا يعطي المخدرات — والمسكنات للمريض ، إذ أن ذلك قد يخفي الأعراض ويزيد من صعوبة التشخيص أو يبدل الأعراض ويجعل التشخيص صعباً ، والطبيب الحاذق هو الذي يحاول أن يفتش عن سبب المرض ليعالجه ، وهذا ما نجده في قول الشيخ الرئيس حريفاً : « الفصل السابع في كيفية استعمال المخدرات في القولنج : إن المبادرين إلى تسكين الوجع بالمخدرات يرتكبون أمراً عظيماً من الخطر ، فاستعمال المخدرات ليس بعلاج حقيقي هو قطع السبب ، والتخدير يمكن السبب وإبطال الإحساس به » . ( ٢٦/أ ) . ولكنه يلزم الطبيب المعالج في الحالات الاضطرابية قائلاً : فلا يجب أن يستعمل به ما أمكن وما وجد عنه مندوحة بل يستعمل مبعد السبب وتقطيعه وتحليله وتوسيع مسام ما احتبس فيه بارخائه ، وأكثر ما يمكن هذا بأدوية ملطفة » . ( ٢٦/أ ) .

٨٦ — إن الشيخ ينصح الطبيب بإجراء موازنة بين ضرر المرض وضرر استعمال المخدر وهذا يمارسه طبيب اليوم عندما يعطي الأدوية المضادة للسرطان ، وهو يعرف أنها لا تقل لإضراراً بالمريض من المرض نفسه ، ولكن ليست باليد حيلة ، فهي الطريقة المتوفرة لديه وإلا فقد المريض ، فهو يقول : « متى كان قدح الألم من القوة أضر من زيادة المخدر في العلة ، فإذا استعمل المخدر في هذا الوقت رجيء له أن يكون الحاصل لهجوم القوة وتوفرها بالنوم على الإنضاج وعوز الروح بزوال الألم الذي كان يحلله ، وفعل القوة يزيد نفعه على نفع المعاونة التي كان يتعاطاه بقوة قد أعجزها الألم وأشرف بها الاضمحلال ، فحينئذ ترجح استعمال المخدر ، وكان عقد هدنة مع المرض تريخ القوة عاجلاً وإن زادت في المرض » . ( ٢٦/ب ) . إننا نطلق اليوم على القوة المقاومة الجسدية التي تعرف أنها تتحسن وتزيد عنه هدوء أعصاب المريض وخلوده إلى الراحة التي لا يلقاها إلا الشخص الذي لا يتألم ، وهذا ما يحاول الشيخ



الرئيس توفيره للمريض مع سابق علمه بأن المخدر قد يزيد من المرض ولكنه يعدّها هدنة بين المرض والمقاومة التي سوف تزيد بعد انتهاء فترة الهدنة وتقضي على المرض ، وهذا ما يمارسه طبيب اليوم عملياً .

٨٧ — إن الشيخ الرئيس لا يدع مجالاً لتساؤل الطبيب من الناحية العلاجية في الحالات المرضية الخاصة فهو يشرح له المداواة (THERAPY) في بعض أنواع القولنج قائلاً : « والمخدرات أوفق على علاج القولنج الصفراوي لأنها مع تسكين الوجع فيخدر الحس ويسكن حدة المادة الفاعلة للوجع ولما ذكر أولاً صار الأطباء يستعملون المخدرات في القولنج البارد» . (٢٧/أ) .

٨٨ — إن الشيخ الرئيس يشير إلى أن المريض قد يدمن على العلاج ولذلك وجب الانتباه لتلك الحقيقة والحذر من استعمال المواد التي تؤدي إلى الإدمان فهو يقول : « كما عليه تركيب معجون فيلن وهو القولونيا الرومي يدمنون استعمال (Addiction) ويحذرونها حذراً كثيراً في الأمزاج والاشتان » . (٢٧/أ) .

٨٩ — إن الشيخ الرئيس يفرق بين المواد الغذائية وتأثيرها على المرض والمريض فهو يقول : « ما ينفع القولنج بالخاصية للثوم خاصية جيدة في تسكين القولنج ، مع أنه ليس له تعطيش ، كما للبصل وربما تناول منه القولنجي عند إحساسه بابتداء القولنج وهجر الطعام أصلاً ، وأمعن على الرياضة » . (٢٧/ب) .

٩٠ — بالرغم من كل التحكيم المنطقي والعقلي في الممارسات الطبية لهذا الكتاب فإن الشيخ الرئيس لا يترك استعمال التمايم من عظم وجد في خرقه الذيب ويستشهد بجالينوس فهو يقول : « وإن وجد في خرقه عظم كما هو وهو عجيب أيضاً ، ويدّعي أن تعليقها نافع من شربها ويأمرون أن تعلق بجلد سامورا أو أيل أو كبش تعلق به الذئب فانفلت منه ، وجالينوس يشهد بنفعه تعليقاً ولو في فضة ، وقيل إن جرم معاء الذئب إذا جفف وسحق ، أبلغ في النفع من زبله سقياً وحقنة » . (٢٧/ب) .

٩١ — سبق وأن ذكرت أن الكتاب لا يخلو من بعض الأشياء التي لا نقبلها علمياً اليوم بل نطلق عليها خرافات ، فمثلاً قول الشيخ الرئيس : « وما يجري في

هذا الجرجى العقارب المشوية فإنها شديدة المنفعة للقولنج ويجب أن يجرب على القولنج الصحيح لئلا يكون مجربوها قد جربوها على قولنج كاذب هو تابع لحصاة الكلى فينفع بحصاة الكلى بالذات ومن القولنج بالفحص « (٢٨/أ) . إن في تلك الخرافة الطبية حقيقة تعليمية للطبيب الممارس وهو ما نطلق عليه التحذير من النتائج الكاذبة (Precaution of False result) .

٩٢ — إن الفصل التاسع (٢٨/أ) قد خصص لعلاج الديدان . ومن الحقائق الطبية في هذا الفصل أن الشيخ الرئيس يذكر أن الأدوية هي سموم بالنسبة للديدان وهذا ما يعرفه طبيب اليوم كما أنه يوصي بتحضير المريض وإعداده للدواء قبل المباشرة بالعلاج وهو يذكر استعمال المسهل بعد أدوية الديدان والذي نمارسه اليوم في العلاج الطبي وبخاصة إذا لم تنطلق الطبيعة أو انطلقت في بعض الحالات . إنه ينبه إلى أن موت الديدان في الأمعاء قد يؤدي إلى مضاعفات ، وهذا ما نعرفه اليوم ، وهذه الحقائق المذكورة بقول الشيخ الرئيس : « ينبغي أن ينقي البلاغم المجمعة في المعاء التي يتولد فيها الديدان وأن يغسل الديدان بأدوية هي بالقياس إلى الديدان سموم لها ، وهي المرة الطعم ، فمنها حارة دفعها باردة ، سنذكرها ، ومنها ما يفعل بالخاصية ، ثم يُسهلوا ، بعد قتل الديدان (PURGATION AFTER TREATMENT) — إن لم تدفعها الطبيعة نفسها — فإن بعض أصحاب الديدان يعتبرهم إسهال فيتبرز معه الديدان من غير حاجة إلى مسهل » (٢٨/أ) . ثم يقول : « وإذا قتلت بالأدوية فلا ينبغي أن يترك لطول بقائها في البطن بعد موتها وننتها فيصير بخارها ضرراً » كلياً « (سمياً) ويضعف النبض » (Complication of dead worms) .

٩٣ — يفرق مؤرخنا بين أنواع الديدان ويذكر أن الديدان الشرجية لا تبلغ في أعراضها مبلغ الديدان المعوية ، كما أنه ينصح بمعالجته بالحقنة الشرجية فهو يقول : « فهي أولاً بأن يخرج من أن يقتل إلا ما كان في المستقيم من صغار الديدان ، على أن هذا النوع من الديدان (٢٨/أ) . إنما يحدث زحيراً ولا يكاد يبلغ إلى إحداث أوجاع قولنجية » (٢٨/ب) . إنه يذكر بعض الأمور التي لا نقرها اليوم مثل ميل الديدان إلى بعض الأغذية وتأثرها برائحتها ، كما يقول : « ثم بعد ذلك في اللبن دواءً قتلاً للديدان مع سكر ، فرما مص قبل تناوله الكباب فشبت لرائحته من مكانها

وأقبلت على المص لما ينحدر إليها فإذا اتبع ذلك هذه الأدوية القاتلة لها في اللبن بغثة كان أقتل لها (٢٨/ب) أو ينصح بسد المنخرين خوفاً من روائح الديدان كما يقول : « وإذا شربت الأدوية الدودية فيجب أن يسد المنخران سداً شديداً لا يكثر من إخراج النفس وإدخاله إن أمكن فإن الأصبوب أن لا يختلط في النفس شيئاً من روائحها » (٢٨/ب) .

٩٤ — ومن الحقائق الطبية المعروفة لدينا هي أن حال المريض قد لا تسمح بإعطائه أدوية الديدان ويجب أن تحسن حالته وترفع مقاومته قبل البدء بالمعالجة ، وهذا ما يشير إليه الشيخ الرئيس بقوله : « وفي العلاج المتصل بعلاج الديدان إصلاح الشهوة إذا سقطت » (٢٩/أ) . كما أنه يعدد أنواع الديدان قائلاً : « والأدوية التي تقتل حب القرع والمستديرة ، ويقتل أيضاً الطوال والسيب » (٢٩/أ) .

وهو يخصص الصفحة (٢٩/أ و ٢٩/ب) لمعالجة مختلف أنواع الديدان ولكنه يعود ليذكر أن شعر الحيوان المسمى 'آخريمون' له فعالية دوائية بقوله : « من الأدوية العجيبة في جميع ضروب الديدان شعر الحيوان المسمى 'آخريمون' فيما يذكر » (٣٠/أ) . إن الشيخ الرئيس يشير إلى 'طريق المعالجة عن طريق الشرج (Rectal Treatment)' ، فهو يقول : « وأما أدوية الديدان الصغار فقل ما يعرض منها آلام قولنجية كما بينا إلا أنه يقتلها احتمال الملح والاحتقان بالماء الحار ويقلع مادتها ، وأقوى من ذلك حقنة يقع فيها القنطوريون والقرطم والزوفا » (٣٠/أ) . إنه يصف أيضاً طريقة أخرى لإخراج الديدان الشرجية التي نسميها (Pin worms) قائلاً : « ومما يلفظ هذه الصغار أن يدس في المقعدة لحم سمين مملوح وقد شد عليه مجذب من خليط ، فإنها تجتمع عليه بحرص ، ثم يجذب بعد صبر عليها ساعة ، إن أمكن ، فيخرجها ويعاودوا إلى أن يستنفى » (٣١/أ) .

٩٥ — يتطرق صاحبنا إلى أغذية المصابين بالديدان وينصح بعدم تعرضهم للجوع ، إذ أن ذلك قد يسبب أعراضاً لهيجان الديدان ، ونحن نعرف اليوم أن الديدان يجب أن لا تتعرض للإثارة : (Irritation) لأن ذلك قد يؤدي إلى مضاعفات ، وهذا ما يقوله الشيخ الرئيس أيضاً . « وأما الوقت والترتيب فيجب أن لا يجاع فتهيج هي ويلدع المعدة وربما أسقطت الشهوة بل يجب أن يغذوا قبل حركتها

في وقت الراحة وأن يفرق غذاءهم فيقطعوا كل قليل إلا في نوبة القولنج « (أ/٣١) .

٩٦ — إن طبيب اليوم لا يمارس الفصد لمعالجة الأورام أو أي قولنج إلا في بعض أمراض القلب ولكن الشيخ الرئيس ينبه الطبيب إلى حالة المريض قبل فصده وإلى سببه والوضع العام ، وهو ما يشير إليه بقوله : « الفصل العاشر في علاج القولنج الورمي : أما الكائن عن ورم حار فيجب أن يستفرغ منه الدم بالفصد من الباسليق إن كان السن والحال والقوة وسائر الموجبات يرخص فيه أو يوجبه » (أ/٣٢) .

وهو يخص الصفحة (أ/٣٢) و(ب/٣٢) لمتنوع الأغذية والوصفات الخاصة بالقولنج الورمي الحار . أما الصفحة (أ/٣٣) فيخصصها إلى القولنج الكائن من الورم البارد . إن محاولة شرح نوعي القولنج الورمي الحار والبارد بما نعرفه اليوم لا ينطبق إلا على التهاب الزائدة المصحوب بالكتلة (Appendicular mass) التي قد تكون حارة أو باردة ، وهو ما يسميه الشيخ الرئيس الورمي الحار والورمي البارد .

٩٧ — إن الشيخ يولي أهمية خاصة للوقاية من مرض القولنج وهو يخص الفصل الأخير من كتابه لذلك واصفاً كل ما يجب على الشخص اتباعه فهو يقول : « الفصل الحادي عشر في وجه احتراز المستعد للقولنج عن القولنج (أ/٣٣) وهو يصف أسباب الاستعداد وطرق الوقاية قائلاً : الاستعداد لهذه العلة يكون لضعف الأمعاء عن المزاج الرديء الذي ينفعل معه عن الأسباب الضعيفة بسرعة ، وتدبيره تقوية الأمعاء بتعديل مزاجها » (أ/٣٣) . ويشترط عدم معونة الأدوية عند تعريف الحالة الصحية الجيدة قائلاً : « ويعتبر عودة إلى المزاج الفاضل وتمازج قوته بتمازج أفعاله (أ/٣٣) من غير معونة الأدوية وغير انفعاله ومقاومته للأسباب الممرضة » (ب/٣٣) . وهو يؤكد على أهمية الأغذية وطبيعتها الهضمية والأشربة قائلاً : وجميع القولنجيين يحتاجون إلى غذاء مزلق ملين وقد يحتاجون إلى التقوية فيكون ذلك أولاً بمياه اللحم البالغ في طبخه ، ولباب الخبز المدبب » (أ/٣٣) . وبين الأغذية التي تضرهم بقوله : « والأشياء التي تضر القولنج منها أغذية ومنها أفعال ، أما الأغذية فكل غليظ كلحم البقر ولحم الجزور ولحم الوحشي حتى الأرنب والظبي ، والسملك الكبار خاصة ، طرياً كان أو ملوحاً وكل مقلو من اللحمان ومشوي كيف كان ، وجميع بطون الحيوان وأجرام اللحوم » (أ/٣٣) .

٩٨ — من النصائح الطبية التي نعطيها للمريض المصاب بالإمساك أن يلبي الحاجة إلى البراز وهو ما نسميه طبياً بنداء القولون ( Call of the Colon ) الذي نوليّه أهمية علاجية ، ونستعمله في معالجة الإمساك وكثير من الكلام الذي نقوله للمريض يوجزه لنا الشيخ الرئيس قائلاً : « أما الأفعال التي يجب أن يحذروا فمثل حبس الريج وحبس البراز والنوم على البراز والنوم على براز في البطن وخصوصاً يابس ، بل يجب أن يعرضوا أنفسهم عند كل نوم على الخلاء . واعلم أن حبس الريج كثيراً ما يحدث القولنج بإصعاده الثفل وحصره إياه حتى يجتمع شيئاً واحداً كثيراً ويحدث ضعفاً في الأمعاء ، وربما أحدث ظلمة في البصر وصداعاً ودواراً » ( ٣٤/أ ) .

ولا ينسى أن يحذر من التخمة التي يعدها أساس هذه العلة قائلاً : « ويحذر القولنجيون التخمة كل الحذر فيكاد أن يكون جميع أسباب هذه العلة يرجع إليها وليحذروا بأسرهم الاستكثار من الجماع » ( ٣٤/أ ) . ولا ينسى أهمية امتلاء المعدة وأثره على الشخص في حالات خاصة مثل الرياضة والاستحمام والجماع ، وهذا ما نمارسه طبياً اليوم فهو يقول : « ويمنعون الاستحمام بعد الأكل والجماع على الامتلاء ( Full Stomach ) ( ٣٤/ب ) .

٩٩ — إن الشيخ الرئيس يستمر في أسلوبه الخاص . فالصفحة ( ٣٥/ب ) تذكر ما يجب على الشخص المستعد عمله في كل نوع من أنواع القولنج ، ولكن لا يترك هذا الكلام المتعدد النواحي دون إيجاز قائلاً : « وبالجملة فتدبير المستعد لكل صنف هو اجتناب أسبابه واستعمال الخفيف من علاجه مع الأغذية الموافقة » ( ٣٥/أ ) .

١٠٠ — وهكذا تتضح أهمية ابن سينا الطبية والعلاجية ، فقد تبين كثير من الحقائق الطبية التي بينها في هذه المقدمة : وهي عبارة عن خلاصة لأهمية ابن سينا الطبية والعلاجية ومدى مطابقة علومه في الوقت الحاضر .

( يتبع .. )